

نظرية التّواصل اللّغوي بين الدّرس اللّساني العربي واللّسانيات الحديثة

Linguistic Communication theory between Arabic Linguistics and Modern Linguistics.

عريب عمر*

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

Omar.arib@fll.ummtto.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/21

تاريخ الاستلام: 2023/09/04

ملخص:

يعدّ التّواصل اللّغوي من أبرز الآليات التي اعتمدها الإنسان في إيصال أفكاره و إبلاغ حاجياته التي في نفسه لتحقيق أغراض نفعية بينه و بين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، و لطالما سعى الإنسان إلى تطوير مهارة التّواصل وذلك باستخدام الأساليب المتنوعة الفطرية منها والمكتسبة، و البحث في التّواصل اللّغوي لم يكن وليد اللحظة في الدرس اللّغوي الغربي الحديث عند جاكسون وغيره بل نلمسه عند اللّغويين العرب القدماء أمثال سيبويه والجاحظ و أمثالهما، كما أنّه قد اجتهد بعض اللّغويين العرب المحدثين على بناء معرفة جديدة من منطلق المنجز اللّساني الغربي من أجل إيجاد نظرية تدرس التّواصل و تبحث عن سبل ترفيقه و تطويره على غرار ما فعل أحمد المتوكل.

الكلمات المفتاحية: التّواصل اللّغوي، التّأصيل، التّأسيس المعرفي، العملية التّواصلية، اللغة العربية

Abstract:

Linguistic communication is one of the most prominent mechanisms adopted by man in order to convey his ideas and communicate his needs in himself to achieve utilitarian purposes between him and the member of the society in which he lives. man has always sought to develop the skill of communication by using various methods and examination of linguistics communication was not new in the modern western linguistics lesson according to Jacobson and others. but we find it among the ancient arab linguists such as Sibawayh and al-Jahidh. Some modern arab linguists have worked hard to build new knowledge from the origins of modern linguistics to find an arabic theory that studies communication looking for its promotion. as Ahmed al-motawakil did.

Keywords: Linguistic communication. Rooting. Cognitive foundation. Communicative process. Arabic language.

مقدمة:

يعدّ التواصل اللغوي أحد أنواع التواصل عموماً، إذ إنّ الآلية الأساسية التي يستعملها الإنسان في تواصله مع الآخرين هي اللغة، و قد تنوّع التواصل اللغوي بين المنطوق و المكتوب، و الذي يضطلع في شتى مناحي الحياة لأنه ضرورة حتمية و يومية لا يستطيع الانسان أن يستغني عنه لأنه أساس التعايش و سدّ الحاجات المتنوعة، و لأهمية التواصل دأب اللسانيون الغربيون على الاجتهاد في دراسة التواصل و أسسوا على إثر ذلك نظريات في التواصل اللّغوي على غرار ما فعل رومان جاكسون و الذي فتح باباً واسعاً في دراسة اللّغة باعتبارها أداة تواصل مهمة، كما اهتم الدّرس اللّساني الحديث بدراسة أقطاب الدّارة الخطابية محاولاً بذلك إيجاد آليات أكثر نجاعة لتسهيل عملية الاتصال بين قطبي العملية التواصلية، ولم يغفل اللسانيون العرب المحدثون عن هذه التطوّرات اللّسانية إذ سعى بعضهم إلى نقل المفاهيم وترجمتها والسعي إلى تأسيس معرفة جديدة تقوم عليها نظرية عربية حديثة تهدف إلى دراسة التواصل كما فعل أحمد المتوكل من خلال النظرية الوظيفية المثلى، وسنحاول بناء هذا البحث وفق الإشكالية الآتية: كيف تعامل الدّرس اللّغوي العربي الحديث مع نظريات التّواصل الحديثة؟ و هل سعى إلى بناء معرفة جديدة تكون منطلقاً في دراسة التّواصل اللغوي من منظور حديث؟ وهل كان للتراث اللّغوي العربي القديم حديث عن التّواصل اللّغوي؟

2. مفهوم التّواصل اللّغوي:

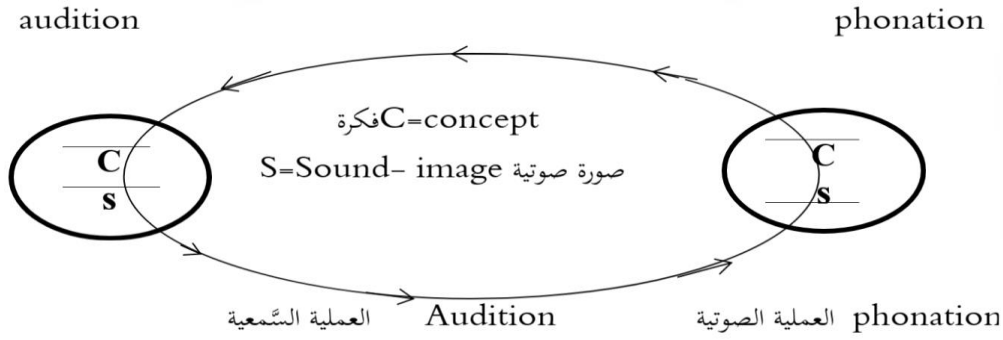
إنّ أهمّ مظهر من مظاهر التّواصل الإنساني ما يعرف بالتّواصل اللّغوي، و هو " مصطلحٌ علميٌ يحيل إلى تحديدٍ معرفيٍّ معيّنٍ ترسّخ في قناعات معظم اللغويين و النحاة و النقاد العرب بحكم أنّ البلاغة والبيان والخطابة هي فنون تواصلية أو معارف لغوية- في أحيانٍ كثيرة- هدفها التّواصل الذي يعني في بعض مضامينه الفهم والإفهام"¹، و يمثل الفهم الحجر الأساس في العملية التواصلية، فلا يمكن تصوّر دورة خطابية سلسلة دون أن يكون فيها الفهم قائماً بين أطراف العملية الخطابية، بل إنّ غياب الفهم سيسقط أيّ جهد تواصل، و قد سبق للدّرس اللّغوي العربي القديم أن أشار إلى ذلك حينما تحدّث عن مسألة (الاستقامة من الكلام)، نظراً لأهمية هذا العنصر في تحقيق العملية التواصلية، حيث نجد سيبويه يقسّم الكلام فيقول: " فمنه مستقيمٌ حسنٌ، و محالٌ، و مستقيمٌ كذبٌ، و مستقيمٌ قبيحٌ، و ما هو محالٌ كذبٌ، فأما المستقيم الحسنُ فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غداً، و أما المحالُ فنَقْضُ أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً وسأتيك أمس، و أما المستقيمُ الكذبُ فقولك: حملتُ الجبلُ و شربتُ ماء البحر و نحوه، و أما المستقيمُ القبيحُ فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت و كي زيداً يأتيك و أشباه هذا، و أما المحالُ الكذبُ فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"²، إنّ الاستقامة من الكلام تدعّم الفعل التواصل عبر الرّسالة الكلامية التي يشغل فيها المتكلم على اللّغة بما يحقق هدفه من الكلام، معنى ذلك أنّ استقامة التواصل من استقامة الكلام، و أنّ أيّ خللٍ في الرّسالة الكلامية تترتب عنه خللٌ في التواصل.

3 . نظرية التواصل اللغوي النشأة و المفهوم:

يمكن أن نعدّ النّظريات اللّغوية الحديثة بدءاً من دي سوسير مؤسس النّظرية البنيوية، و ما تلاها من النظريات هي محاولة لمعرفة اللّغة إمّا بموضوعها باعتبارها ألفاظاً دالة على معانٍ، أو بأغراضها أو بلوازم وجودها من وجود متكلمٍ ومتلقي، و لا شك أن الكثير من النّظريات يكتلّ بعضها بعضاً، واللّغة باعتبارها نظاماً كليّ ذهني يتحقق بالكلام والتّصوّص فإنّ " الكلام ضرورة لتثبيت أركان اللغة...و أخيراً يكون الكلام هو السبب في تطوّر اللّغة"³، و قد سعى

الكثير من اللّسانيين إلى تسمية الكلام أو النصّ (خطاباً) باعتبار أنّ قوام الكلام يكون بالخطاب، و لهذا عرّف بعض اللّغويين الغربيين النصّ من حيث نشاطه التواصلّي، فقليل في تعريفه: "النصّ وحدة لغوية تواصلية، أي إنجازية و موضوعية و الملازم اللّغوي لفعلٍ تواصلّي في عملية التّواصل هو دائماً وحدة تواصلية ووحدة موضوعية تؤدي في عملية التّواصل وظيفة إنجازية"⁴، وقد اهتمّ المحدثون بالخطاب باعتبار أنّه يؤدي الوظيفة الحقيقية للغة وهي التّواصل بين المتكلّم والمتلقّي، لأنّ الخطاب يستلزم وجود مخاطب ومخاطب، و قد تأسّس مفهوم الخطاب عند الغربيين حديثاً، حيث عرّفه (بنفيسست) بقوله: "الخطاب لا يلفظ، يفترض متكلماً ومستمعاً، ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما"⁵، و قد أدرك علماء أصول الفقه وغيرهم من قبل هذا المفهوم، فعرفوا الحكم الشرعي بأنّه: "خطاب الله المتعلّق بفعل المكلف"⁶، ثمّ فسروا الخطاب بالكلام، إمّا على اعتبار تفسير الخطاب بالمخاطب به أو أن يكون الخطاب بمعنى الكلام حقيقة عرفية"⁷، "و هو المعروف والمشهور في اللّسانيات الحديثة أيضاً"⁸، كما أنّه لا يشترط في الخطاب وجود المخاطب ليوحّد المخاطب خطابه، بل استيفاء الخطاب لشروط المخاطبة يُوجب له هذه التسمية و إن كان المخاطب سيوجد بعد ذلك، فإن أصدر المتكلم كلاماً فلا يشترط عندهم وجود المخاطب، بل يصحّ أن يسمى الكلام خطاباً و إن وُجد المستمع(المتلقّي) بعد حين، "و أوجب علماء الأصول أن يكون المخاطب قابلاً للتّواصل في العملية الخطابية لاشتراطهم أن يكون المخاطب متهيئاً لفهم الخطاب"⁹، فالنائب إذن والساهي و ما لا يعقل لا تتحقّق بهم العملية التواصلية، فقد اشترط علماء الأصول في المرسل إليه أن يكون قابلاً لفهم، صالحاً له لتحقيق العملية التواصلية، كما أنّ الخطاب و إن كان الأصل فيه أن يكون ملفوظاً ولكنّه قد ينتقل إلى مرحلة المكتوب، ولهذا فلا فرق بين النصّ والخطاب عند علماء أصول الفقه، فالفرق بينهما اعتباري لا حقيقي، فإن نُظر إلى أنّه كلامٌ ملفوظٌ فهو خطاب، وإن نُظر إليه على أنّه مقروءٌ من الصّحف فهو نصّ، وأما عند المحدثين فقد ذهب أكثرهم إلى تساويهما في الدلالة " فيستعمل أحدهما مكان الآخر دون فرق"¹⁰.

و تعدّ نظرية التّواصل من أهمّ النظريات اللّسانية الحديثة " حيث إنّها قامت على اعتبار أنّ اللّغة شبكةٌ من المفاهيم قائمةٌ على وظائف، فاهتمت بالخطاب لأنّه صلب العملية التّواصلية، وغياب الخطاب عن الواقع يعني غياب التواصل الاجتماعي و من ثمّ غياب السلوك الإنساني، لأنّ السلوك الإنساني مبني على التواصل اللّغوي الذي أساسه و عماده هو الخطاب اللّغوي، و نظرية التواصل و إن كان منظورها هو رومان جاكبسون إلّا أنّ البدايات الأولى نلمحها عند دي سوسير حين تكلم عن نقل الدماغ الإشارة المناسبة للصّورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات، فينتقل الكلام من الشخص (المتكلم) إلى المتلقّي، فإن تكلم المتلقّي بدأ فعلاً جديداً في دماغه إلى دماغ المتكلم، فيشير دي سوسير إلى عملية التّواصل و نقل الأفكار و جعلها دائرةً كلامية تشبه الدّارة الكهربائية، وقد وضع خطاطةً لعملية التواصل وهي كالآتي¹¹:



و قد اعترف البنيويون أنّ سوسير له السّبق في تأسيسه لنظرية التواصل من داخل اللّسانيات البنيوية¹²، ثمّ جاء بعده الباحث النفسي الألماني (كارل بوهلر) مبيناً عمل دي سوسير ومكملاً له، فذكر ثلاث محاور تقوم عليها العملية التخاطبية و هي: المرسل، المرسل إليه، و الموضوع، " و يتولّد عن المرسل الوظيفة الانفعالية، و عن المرسل إليه الوظيفة الإفهامية، و عن الموضوع الوظيفة المرجعية"¹³.

و بناءً على أنموذج بوهلر للعملية التّواصلية استطاع رومان جاكبسون أن يطوّر هذه المحاور ويستدل على بعض المحاور اللّسانية الإضافية، ليكون بذلك التّواصل اللّغوي يستلزم ستّة عوامل، لكلّ عامل وظيفة تختصّ به، و سنحاول أن نبين التّماذج التي أرساها اللّسانيون الغربيون في تأسيسهم لنظرية التّواصل اللّغوي حتى بلغت شأواً كبيراً عند رومان جاكبسون، كما أننا سنعرض هذه التّظيرة في الاتجاهات اللّسانية الحديثة.

4. التّواصل اللّغوي في النظريات اللّسانية الحديثة:

4.1 التّواصل اللّغوي عند رومان جاكبسون:

يعدّ رومان جاكبسون مؤسس نظرية التّواصل سنة 1969م، و الذي اعتبر أنّ اللغة وظيفتها الأساسية هي التّواصل، كما ارتأى أنّ اللغة بعدّ وظيفي يتمثل في ستّة عناصر و ست وظائف، والوظيفة كما حدّدها اللّسانيات الحديثة هي الدّور الذي يلعبه العنصر اللّغوي في البنية التركيبية للجملة، فكل عنصر من عناصر الجملة يعدّ مساهماً في تحديد معناها، ثم إنّ اللغة في تركيبها هي نسق وظيفي، حيث إنّ كلّ مكون من مكونات بنيتها له هدف محدّد في قصد المرسل وفق صيغة ما، و بما أنّ الوظائف اللّغوية تحتل مكانة في بنية اللّغة و هذا ما نادى به مدرسة براغ اللّسانية التي يتزعمها رومان جاكبسون، و سنذكر العوامل الست التي يستلزمها التّواصل اللّغوي مع ذكر وظيفة كل عامل وفق ما حدّده جاكبسون:

- 1- المرسل: **destinateur** و هو المصدر الأساس في العملية التّواصلية و قد سمّي بعدّة أسماء منها: الباث والمتحدّث¹⁴، و لولا المرسل لما وجدت العملية التخاطبية من الأساس لأنّه مصدرها.
- 2- المرسل إليه: **destinataire** و هو الجهة التي توجّه إليه الرّسالة من المرسل، و لا بدّ أن يكون مؤهلاً لفهم الرّسالة كما اشترط ذلك جاكبسون¹⁵. فليس كلّ مستقبلٍ للرّسالة يصلح أن يكون مرسلًا إليه إلا إذا توفر فيه شرط الفهم و الاستيعاب، أي أن يدرك محتوى الرّسالة، كما قد اشترط علماء أصول الفقه و الفقهاء أن يكون المخاطب عاقلًا فاهمًا للخطاب.

3- الرّسالة: **message** ولا يقصد بالرسالة أن تكون في المستوى المكتوب فقط فقد تكلم جاكبسون على الاتّصال اللّساني في نظريته عندما بيّن أنّ عملية فك الرموز تنتقل من الصوت إلى المعنى فتنتقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه¹⁶، فالرسالة عند جاكبسون متواليات صوتية، و لكي تكون الرّسالة ذات فعالية لا بدّ أن تحيل إلى مرجع مشترك بين المرسل والمرسل إليه.

4- المرجع(السياق): **réfèrent/ contexte** يقصد به المتحدث عنه أو الموضوع الذي يقوم المرسل بتوجيهه إلى المرسل إليه عبر الرسالة، و الموضوع له ملابسات عديدة من زمان و مكان و حال المرسل إليه وعدده و نوعه غير ذلك من الإشارات، و يعدّ السياق أحد عاملين - إلى جانب القناة- لنجاح عملية التواصل اللغوي، فالسياق أو المرجع يجب أن يكون مقبولا من لدن طرفي الارسل ويجب أن يكن واضحا.

5- السّنن: **code** و يقصد به نظام الترميز الخاص بين المرسل والمرسل إليه، و هذا المصطلح استعمله جاكبسون للدلالة على التّظام اللّغوي العام الذي يستعمله المتكلم¹⁷، كما أنّ له اصطلاحات لسانية أخرى، فقد استعمل دي سوسير مصطلح(اللغة)¹⁸ **langue**، و استعمل تشومسكي مصطلح(القدرة)¹⁹ **compétence**، فالقصد من وجود هذا المصطلح هو وجود نظام لغوي مشترك بين المرسل والمرسل إليه، و يعني هذا أن الرسل يُلقي رسالته إلى المتلقي في ضوء هذا التّظام اللّغوي لتصل بعد ذلك الرسالة إلى المتلقي فيفهمها و يؤولها في ضوء ذلك النظام نفسه، ويتضمن هذا النظام الانواع المختلفة من الأنساق كأنواع تركيبات الكلام من جمل فعلية و اسمية و متعلقاتها (الجمل الخبرية والانشائية) و غير ذلك من التنوعات البلاغية المختلفة.

6- قناة الاتصال: **canal**: و هي قناة فيزيائية، و هي الممرّ الذي يسمح بإقامة علاقة بين المرسل والمرسل إليه، وكذلك قناة فيزيولوجية "تسمح بإقامة التّواصل عن طريق نقل الرّسالة من المرسل إلى المتلقي"²⁰، و قناة الاتّصال في اللّسانيات هي الهواء النّاقل باعتبار أن الأصل في التّواصل هو أن يكون خطاباً أي كلاماً ملفوظاً، غير أن قنوات الاتّصال تنوّعت في وقتنا هذا بين الأنترنت والتّلفاز والمذياع وغيرها من القنوات الأخرى.

و عن طريق هذه العوامل الستة تتحدّد أنواع الوظائف اللّغوية، حيث حصر جاكبسون الوظائف اللغوية وفق العوامل التي ذكرناها و المكوّنة للتواصل اللفظي على النحو الآتي:

1- الوظيفة التعبيرية **la fonction expressive**: و تسمى أيضاً الوظيفة الانفعالية أو الوظيفية، وهي "تجنح إلى التعبير عن عواطف المرسل و مواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، و يتجلى ذلك في طريقة النطق، أو أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوّه أو التعجّب أو صيحات الاستنفار"²¹، والملاحظ أنّ هذه الوظيفة يؤديها التواصل اللفظي أكثر من النصّ المكتوب و هو ما ركّز عليه جاكبسون باعتبار أنّ التّواصل اللفظي هي الذي يحقق الوظائف اللّغوية، و"تختلف الانفعالات على حسب نوع الخطاب، كتابية كانت أو منطوقة، فالمنطوقة تعتمد آليتين فيزيولوجيتين، الأولى تكون في النبر والتفخيم، و الجهر و التنغيم، و الثانية دلالية تُعرف من خلال صيغ التعجّب والندبة، أما الخطابات المكتوبة فتعتمد على الآلية الدلالية لأن الجانب الفيزيولوجي يتلف عندما يتحوّل الخطاب من صيغة النطق إلى الكتابة"²².

- 2- الوظيفة الإفهامية **la fonction cognitive**: و قد أطلق عليها بعض اللسانيين (الوظيفة التأثيرية)²³ ، والتي تفيد إفهام المتلقي و تحصيله المعاني التي يقصدها المتكلم، أمّا مصطلح التأثيرية فيشير إلى ذلك الانفعال و التأثير السلوكي و النفسي بالعملية التواصلية، إذن تبرز هذه الوظيفة عندما تتجه الرسالة من المرسل إلى المتلقي.
- 3- الوظيفة الانتباهية **la fonction fatigue** : هناك عناصر لغوية تقوم بأداء وظيفي خاص في الكلام ، يأتي بها المتكلم لإثارة انتباه المتلقي للتأكد من تواصل المتلقي مع المتكلم ضمن العملية التواصلية، و لهذا يقول جاكسون: "هناك رسائل توظف في الجوهر لإقامة التواصل و تمديده لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من انتباهه"²⁴ ، وقد يشترك في هذه الوظيفة حتى الأطفال حسب جاكسون، للإشارة إلى أنهم لا يستطيعون إصدار الجمل المفيدة ولكنهم يستطيعون إصدار عناصر لغوية منبهة، بالإضافة إلى أنّ هذه العناصر اللغوية في هذه الوظيفة تؤدي أمرين: الأول هو التأكد من أن المخاطب مقبل مع المتكلم متفاعلاً معه غير مشتت الانتباه ليعلم المتكلم أنّ المتلقي متواصل معه فهم لكلامه، و الثاني تطويل الخطاب و تمديده و الاستزادة في الكلام حتى تتم عملية التّواصل.
- 4- الوظيفة المرجعية **la fonction référentielle**: و يقصد بها أن تكون الألفاظ دالّة على المعاني المتحققة في الخارج، فيقوم المتكلم بذكر هذه الدوال للدلالة على هذه الأشياء، فاللغة التي نطقت بها هذه الرسالة " نُحِيلُنَا إلى أشياء و موجودات تتحدّث عنها، و تقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات و الأحداث المبلغة"²⁵ .
- 5- الوظيفة التعريفية أو (وظيفة ما وراء اللّغة) **la fonction métalinguistique**: وتسمى أيضاً الوظيفة الميتالغوية أو وظيفة ما وراء اللّغة، وظيفة تعدي اللّغة"²⁶ ، لكي نفهم هذه الوظيفة يجب أن نميّز بين استعمالين للغة، فاللغة إمّا أن تتحدث عن الصّور الذهنية (الفكرة)، وإمّا أن تتحدث عن معاني الكلمات، أي تقوم بالتعريف عن الأشياء أو المعاني غير المفهومة، فالتكلم حينما يلقي نصاً، و ذلك النص يتضمّن كلمات غير مفهومة عند المتلقي، فيقوم هذا الأخير بالسؤال عن معناها، فإذا بيّن المتكلم معناها فإنه يقوم بهذه الوظيفة، بالإضافة إلى أن هذه الوظيفة لا تقتصر على المتكلم فقط بل يقوم بها المتلقي أيضاً.
- 6- الوظيفة الشعرية **la fonction poétique**: تحصل هذه الوظيفة من خلال التركيز على الرسالة، والوظيفة الشعرية هي " الوظيفة الجمالية بامتياز، إذ إنّ المرجع في الفنون هي الرسالة التي تكف عن أن تكون أداة الاتّصال لتصير هدفه"²⁷ .

4.2 التواصل اللغوي عند نعوم تشومسكي:

لقد ربط نعوم تشومسكي في خضمّ حديثه عن التّواصل بينه و بين اللّغة حيث قال: "اللّغة ذات وظيفة تعبيرية، ومن ثمّ نقرر أنّ التواصل ما هو إلّا وظيفة إلى جانب وظائف أخرى قد تؤديها اللّغة"²⁸ ، و على هذا يعقد تشومسكي في تفسيره لمعنى التواصل قاعدة لغوية خاصة باللّغة البشرية مفادها أنّ اللّغة "تنظيم عقلي فريد من نوعه، حيث أنّها أداة للتعبير و التّفكير الانساني الحر، بل لا تخضع اللّغة في استعمالاتها الطبيعية إلى حافز خارجي و لا لأيّ حالة داخلية يمكن تحديدها بصورة مستقلة، كما أنّها ليست عادات كلامية أو عملاً لا إرادياً"²⁹ ، كما أنّه من جهة أخرى نراه لا يجعل التّواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، بل يذهب إلى كونها عنصراً بيولوجياً له عدّة وظائف أخرى، و"يرى بأنّ اللّغة هي ميزة إبداعية لا يمكن أن تقتصر وظيفتها على التّواصل فقط"³⁰ ، إذن نقول أن تشومسكي سعى إلى إقامة نظرية للغة،

منبعها عقلي، حيث يرى أنّ كلّ لغة تتكوّن من مجموعة محدودة من الأصوات، و مع ذلك تنتج عدداً لا محدوداً من الجمل، و يذهب إلى أنّ " الجمل التي يولّدّها نظام القواعد هذا ينبغي أن تكون مقبولة لدى الناطق بتلك اللغة"³¹ .

يمكن القول بأنّ تشومسكي لا يجنّد فكرة أن للغة وظيفة تواصلية فقط، بل هي إبداعٌ يجب أن نراعي فيه جوانب أخرى، أما التواصل فهو وظيفة حتمية غير مبررة، و الظاهر عند تشومسكي أنّ متكلم اللغة هو " الموضوع الأساس في الدراسة اللسانية، فهو القادر على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل"³² ، و أنّه يعرف جيداً اللغة التي نشأ عليها، إذن هو " الإنسان المتكلم المستمع المثالي التابع لبيئة لغوية متجانسة، و يهدف تشومسكي إلى ما وراء ذلك إلى وضع قواعد نموذجية أو مثالية للغة الإنسانية أو الطبيعية في مجملها"³³.

5. التواصل اللغوي في التراث اللغوي العربي:

اهتمّ اللغويون العرب القدامى بالتواصل، و قاموا بتطبيق هذه التّظيرة من كل الجوانب، و كان ذلك تزامناً مع تطوّر الدّراسات اللّغوية خاصة فيما له علاقة باللّغة باعتبارها الشّكل الأرقى للتّعبير والتّواصل، إذ نجد أنّ أغلب أبحاثهم قد تطرّقت إلى نظرية التّواصل، و قامت بتحديد أركانها وأهدافها، بل زادوا على ذلك بتحديد مستويات التّواصل بحسب الطبقات الاجتماعية، و الحديث عن وظائفها ودور كلّ من اللفظ و الإشارة في كل عملية تواصلية كما نجد ذلك عند الجاحظ، و هو من الرّواد الأوائل الذين تطرقوا إلى هذا الأمر و الذي أثبتته اللّسانيات الحديثة.

5.1 التواصل اللغوي عند الجاحظ:

يعتدّ الجاحظ من أبر علماء العرب القدامى الذين فصلوا القول في نظرية التّواصل من خلال إثارة مجموعة من القضايا كانت بمثابة أرض خصبة لظهور عدّة أبحاث في هذا المجال، و ممّا لا شك فيه أن اللّغة هي الوسيلة الفعّالة التي يمكن بواسطتها الولوج إلى سريرة الإنسان وشخصيته، فهي تكشف مضامين ما في النفس البشرية من أحوال و أمور، كما تكشف عن الوسط البيئي الذي نشأ فيه الفرد، فالأفراد لا يتكلمون بطريقة واحدة حتى في حال انتمائهم إلى وسط جماعي واحد، فاللّغة هي العلامة الفارقة بين الإنسان و جميع المخلوقات الأخرى، قال الله تعالى (الرّحمن، علّم القُرآن، خَلَقَ الإنسان، علّمه البيان)³⁴ ، أي أنّ الله تعالى علّم الإنسان ما يبيّن به عمّا في نفسه، و البيان يكون من جهة المتكلم والمخاطب، فالمتكلم يعبر عمّا في قلبه باللسان نطقاً أو كتابةً، أمّا المخاطب فأعطاه الله تعالى نعمة الفهم، ولو شاء لأسمعته الصوت دون فهم، و هذا ما أورده الجاحظ في كتابه البيان و التبيين في إطار دراسته للبيان، فما علاقة البيان الذي تحدث عنه الجاحظ بالتّواصل الذي هو علاقة تبادلية ضرورية بين جماعة المتكلمين و المخاطبين؟

لقد ذكر الجاحظ كلاماً بيّن فيه أنّ اللّغة هي الميزة الأساسية التي ميّز الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات حيث قال: " و وجدنا كوّن العالم بما فيه حكمة، و وجدنا الحكمة على ضربين، شيءٌ يجعل حكمة، و هو لا يعقل الحكمة، ولا عاقبة الحكمة، و شيءٌ يجعل حكمة، و هو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة، فاستوى بذلك الشيء العاقل و غير العاقل في جهة الدّلالة على أنّه حكمة، واختلفا من جهة أنّ أحدهما دليل يستدل، والآخر دليل لا يستدل، فكلّ مستدل دليل، و ليس كلّ دليل مستدل، فشارك كل حيوان سوى الإنسان جميع الجماد في الدلالة، و في عدم الاستدلال، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً، ثمّ جعل للمستدل سبباً يدلّ به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال و

سمّوا ذلك بياناً³⁵ ، فالكلام هو وسيلة استدلال الموجود على الوجود، و هذا ما قصده الجاحظ في معرض حديثه عن اللّغة من النّاحية الوجودية، بما أنّ الانسان بحاجة ماسّة إلى التّواصل و هو ما يميله عليه طبيعته الاجتماعية.

5.2 نظرية التّواصل في النحو العربي:

لقد اهتمّ النحاة العرب القدامى بالتّواصل اللّغوي و بنوا الكثير من المفاهيم النّحوية على أساس المثلث التّواصلية: المرسل، المرسل إليه، الرّسالة، و من بين تلك المفاهيم التي بيّنها النّحاة: مفهوم الكلام، حيث عرّف النّحاة الكلمة المفردة مع أنّ الكلام أهمّ" إذ به يقع التفاهم و التخاطب"³⁶ ، والنّحاة إنّما بدؤوا بتعريف الكلمة في مصنفاتهم لان الكلام مؤلف من كلمات مفردة، و أمّا تعريف الكلام عندهم كما هو معروف بأنّه اللفظ المفيد بالوضع، و المراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه بحيث لا يصير السّامع منتظراً لشيء آخر، ثمّ بيّن النّحاة معنى الإفادة بأن يكون الكلام دالاً على معنى مقصود، أي أنه يفيد معلومة جديدة عند المتلقي، "و لهذا لم يعد النّحاة نحو(السّماء فوقنا) و (النّار حارة) كلاماً و إن اشتمل على مسند و مسند إليه لأنّه لم يفد معلومة جديدة عند المتلقي"³⁷، كما بحث النحاة العرب في مفهوم (حسن السكوت) هل هو وصف للمتكلّم أو المتلقي؟ و رجحوا بأن يكون وصفاً للمتكلّم، بحيث يمكن أن نقول في تعريف الكلام بأنه لفظ مفيد يحسن سكوت المتكلم عليه بحيث لا يصير السامع منتظراً لشيء آخر، و يمكن أن يلاحظ من هذا التعريف ما يلي:

- ذكر أركان العملية التّواصلية (متكلم و متلقي و رسالة)، و ذكر المرجع لأن الكلام هو ألفاظٌ دالةٌ على معانٍ، و كذلك ذكر السنن (النظام) لاشتراطهم أن يكون الكلام موضوعاً بالوضع العربي ليصح التّواصل.

- الوظيفة التّعبيرية ذلك أن النّحاة اشتراطوا في المتكلم أن يكون قاصداً لكلامه فالنّائم لا يسمى متكلماً في عرف النّحاة، والساهي كذلك و إن أصدر كلاماً مفيداً.

- الوظيفة الإفهامية فقد اشترط النحاة في السامع أو المتلقي أن لا يكون منتظراً لكلمة أو أكثر حتى يتم المعنى المقصود فيحصل الإفهام عند المتلقي حينئذٍ.

- الوظيفة المرجعية و تتمثل في المعلومة الجديدة المشتربة في التّعريف المذكور آنفاً، حينما قيّد النحاة اللفظ بأن يكون مفيداً فإن لم تحصل الإفادة فلا كلام في عرف النّحاة، فلو تكلم المتكلم بمعلومة يعرفها المتلقي معرفة لا يحصل منها فائدة و لا لزوم الفائدة فلا يسمى ذلك كلاماً و مثّلوا بـ (السّماء فوقنا)، التي لا يجهلها أحدٌ، و مثله لو علم المتلقي بقيام زيد فقال المتكلم: قام زيدٌ أو زيدٌ قائمٌ)، فليس هذا بكلامٍ عند النّحاة لعدم حصول الفائدة المتجددة³⁸.

- الوظيفة التّعريفية أو وظيفة ما وراء اللّغة (الميتالغوية) و تتمثل في اشتراطهم أن يكون الكلام موضوعاً بالوضع العربي الدال على استعمال النّظام نفسه بين طرفي الخطاب.

كذلك من المفاهيم التي بحث فيها النّحاة و لها علاقة بالتّواصل اللّغوي هي أدوات التنبيه و هي أدوات تنبيه المتكلم للمتلقي حيث وردت في عدة أبواب نحوية و منها: أحرف النّداء و التي أجمع النّحاة على أنّها تفيد التنبيه، و قد سماها سيويو بحروف التنبيه، فقال: "و أمّا (يا) فتنبية، ألا تراها في النّداء و في الأمر وكأنك تنبه المأمور"³⁹، فقد أشار سيويو إلى الوظيفتين التّنبيه و النّداء، كما أنّ هذه الأدوات تأتي في صدر الكلام، وهذا الباب فيه متّسع عند ابن جني وابن يعيش و كذا الرّضي الاسترادي، و قد أشار جاكبسون إلى أن المرسل إليه قد يستعمل أداة تنبيه أيضاً لتطويل

التواصل كما تقدم في الوظيفة التنبيهية، " و ممّا ذكره النُّحاة في المسألة استعمال اسم الفعل (إيه) بمعنى زد في الحديث أو في العمل"⁴⁰ التي تقتضي أن المتلقي يستزيد المتكلم لتطويل العملية التّواصلية.

5.3 نظرية التواصل في البلاغة العربية:

لقد تكلم علماء البلاغة العربية على اللّغة بوصفها خطاباً قائماً بين المتكلم و المتلقي، فليس النّص وصفاً للمتكلم فقط، بل لا بدّ على المتكلم أن يراعي المتلقي حين التكلم بل قبل التّكلم أيضاً حين يرتب المعاني في ذهنه، كما أن الوظائف اللّغوية قد بيّنها علماء البلاغة منبّهين على أن اللّغة قائمة على أداء وظائف، وليست اللّغة من أجل اللّغة فحسب، بل اللّغة لها أغراض قائمة عليها، وإشارات علماء البلاغة إلى المفاهيم التي ذكرها جاكبسون كثيرة لأن مبني البلاغة على المثلث التواصلي (المرسل والمرسل إليه والرسالة)، و سنقف عند بعض المقولات التي أحدثها علماء البلاغة العرب تبرز التواصل اللّغوي ووظائفه:

- في تعريفهم للبلاغة حيث قالوا: "هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"⁴¹، حيث أفرج هذا التعريف على عدّة مسائل تواصلية و هي: اشتماله على العناصر التواصلية الثلاثة، فالمتكلم يوصل الكلام إلى المخاطب، لأن المقصود بمقتضى الحال هو حال المخاطب كما واضح في من كلام علماء البلاغة، كما بيّن التعريف وظيفة الخطاب لأنّ البلاغة قائمة على مراعاة الكلام لمقتضيات الحال وما يناسب المخاطب، فلكل وضع ما يناسبه من الكلام، كما بيّن هذا التعريف أهمية جمالية الكلام حين شرطوا الفصاحة في مفهوم البلاغة و الذي نستطيع أن نعبر عنه بالوظيفة الشعريّة.

- و من الكتب التي بين أيدينا كتاب أسرار البلاغة للجرجاني التي لم يخل - على غرار كتب البلاغة الأخرى - من الحديث عن الاستعارة و التشبيه ، أمّا الاستعارة فهي: "اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له للمشابهة"⁴²، و قد بيّن الجرجاني أنّ الاستعارة لا تتحقّق إلّا بوجود المتلقي و ملاحظته للكلام، فإنّ أول نوع من الاستعارة أن يرى المتلقي معنى الكلمة المستعارة موجوداً في المستعار له⁴³، و قد بيّن الجرجاني وظيفة المتلقي في الاستعارة بقوله: " و إنّما يتراءى لك التشبيه بعد أن تحرق إليه سترّاً و تعمل تأملاً وفكراً"⁴⁴، ويتبيّن من كلامه هذا أنّ الاستعارة تحقّق الوظيفة الشعرية في الكلام بما تؤديه من إثارة المتلقي و تأمله وانفعاله مع الجمال الذي ترسمه الاستعارة، كما أنّ التشبيه أيضاً وظيفة تواصلية، حيث إنّ العبرة من التشبيه الذي يلقيه المتكلم على المتلقي هي معرفة المتلقي لوجه الشبه و الذي قد يذكره المتكلم أو يخفيه، و حينئذ تكون مهمة معرفته على المتلقي، و قد ذكر الجرجاني ثلاث أحوال للمتلقي ليفهم وجه الشبه "فإنّما أن يكون سهل المأخذ أو يحتاج إلى قدرٍ من التأمل، أو يحتاج إلى فضل رؤية و لطف فكر"⁴⁵، و هنا يشير الجرجاني إلى الوظيفة الشعرية أيضاً التي يحقّقها التشبيه، و لا سيّما إذا حصل المتلقي على وجه الشبه بالتأمل ولطيف الفكر الذي يورث متعة في نفس المتلقي، كما أنّ الوظيفة المرجعية حاضرة أيضاً لأن الكلام لا يخلو من إشارة إلى المعاني المفيدة.

6. التواصل اللغوي من منظور النظرية الوظيفية لأحمد المتوكل:

تعدّ نظرية النّحو الوظيفي من أحدث النظريات الوظيفية، و التي ظهرت في أوروبا مع الهولندي سيمون ديك، في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، ثم انتقلت إلى الدّرس اللّساني العربي عن طريق ثلة من اللسانيين المغاربة على رأسهم أحمد المتوكل، و تقوم هذه النظرية على جملة من المبادئ يمكن أن نجملها فيما يلي: مقارنة اللّغة باعتبارها أداة للتواصل

داخل المجتمعات البشرية، و أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل و تتفرع عنها وظائف أخرى، كذلك أن القدرة التي يكتسبها مستعمل اللّغة الطبيعية قدرةً تواصلية عامة تشمل كل المعارف اللغوية و الخطابية و التي تمكّنه من إنتاج خطاب وفهمه و تحويله إمّا ترجمةً أو تفسيراً أو تأويلاً أو شرحاً.

إن هذه المبادئ ترتبط بمفهوم الكفاية التفسيرية، و هذه الأخيرة عبارة عن ثلاث كفايات مترابطة ومتكاملة وهي:

أ- الكفاية التداولية: و قد أورد المتوكّل تعريف سيمون ديك لها بقوله: " على النحو الوظيفي أن يستكشف الخصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، و أن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد و المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي، و لا يعني هذا أنّه يجب أن نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة، بل على أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدّد العبارات السابقة، و موقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب"⁴⁶.

يرى سيمون ديك أنّه يجب أن يُهتم بالكشف عن خصائص كل عبارة لغوية مرتبطة باستعمال تلك العبارة، فكل موقف عبارات تستخدم فيه، و عليه يجب الكشف عن خصائص مختلف العبارات باختلاف الاستعمال أو التداول، إذ يظهر التواصل اللغوي في التعامل مع تلك العبارات اللغوية باعتبار أنّها وسائل للتواصل، و لهذا فاللغة يحكمها نسقان، نسق لغوي و نسق الاستعمال، كما يرى المتوكّل أنّهما يتطافران في " تحديد أغلب خصائص العبارات اللغوية... و من هذه الخصائص نجد الخصائص الصرفية و التركيبية والتطريزية التي يحدّدنها القصد (القدرة الإنجازية) و التي بدورها يحددها موقف المتكلم من فحوى خطابه"⁴⁷.

ب- الكفاية النفسية: أورد المتوكّل أيضاً تعريف سيمون ديك لهذا النوع حيث قال: " تنقسم هذه النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج و نماذج فهم، تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية و ينطقها، في حين تحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها"⁴⁸.

يرى سيمون ديك أنّه يجب أن نحتّم بثنائية الإنتاج و الفهم بين المتكلم والمخاطب ذلك أن الذهن يلعب دوراً في بناء العبارة اللغوية و فهمها، فالتكلم ينتج العبارة اللغوية في ذهنه ليتلفظ بها كرسالة ليستقبلها المتلقي و يقوم بتحليلها أو تأويلها.

ج- الكفاية النمطية: و تحاول هذه المقاربة تصنيف اللّغات البشرية من خلال إرجاعها إلى الفصائل اللّغوية الكبرى وذلك على حسب بنيتها، معتمدةً في ذلك على المنهج الاستقرائي في ذلك.

إذن كما تروم هذه النظرية إلى " جعل وظيفة التّواصل أساساً للبحث في إشكالات التنظير اللّساني الكبرى كإشكال اكتساب اللغة و إشكال الكليات اللغوية"⁴⁹، فالتّواصل بين بني البشر لا يكون إلا باللغة التي هي عماده، و لا بدّ من وجود أطراف رئيسة حتى يكون هناك تواصل من الأساس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالبحث اللّساني الحديث يسعى إلى تحقيق أنماط جديدة و متجددة بغية الوصول إلى أعلى مراتب التّواصل اللّغوي بين أطراف العملية التّواصلية، فإن تحقق التواصل الجيدّ بينهما فإن ذلك يحقق القدرة التواصلية التي هي مناط البحث اللّساني في النظرية الوظيفية المثلى عند المتوكّل و غيره، و تقوم هذه النظرية على عشرة مبادئ أساس البحث فيها هو الوظيفة التواصلية كما ذكر ذلك أحمد المتوكّل والتي أوردتها كما يلي:

1- أداتية اللغة: تعدّ اللغة من منظور الوظيفيين أداةً لتحقيق التواصل⁵⁰، فاللغة هي وسيلة الإنسان التي من خلالها يعبر عما يختلج في نفسه و بها يوصل أفكاره و آراءه إلى غيره.

- 2- وظيفة اللّغة الأداة: يرى المتوكّل أن اللغة كأداة و إن كانت تستخدم لأغراض متعددة كالتعبير عن الأفكار و الأحاسيس و المعتقدات... فإنّها لا تخرج عن كونها تؤدي وظيفة واحدة و هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما⁵¹.
- 3- اللغة و الاستعمال: نسق اللّغة و نسق الاستعمال مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، " و يتجلى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدّد في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية و الدلالية والصرفية والتركيبية والصوتية و هو ما يعنى به فرع اللسانيات المسمى اللغويات الاجتماعية"⁵².
- 4- سياق الاستعمال: يرى أحمد المتوكّل أنّ التّواصل الناجح يقتضي " أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها"⁵³، و سياق الاستعمال نوعان: سياق مقالي و سياق مقامي، فالسياق المقالي أو السياق اللغوي " فيتمثّل في العلاقات الصوتية والفونولوجية و المورفولوجية و النحوية والدلالية"⁵⁴، فالعلاقة التي تجمع بينها و بين جاراتها هي التي تحدّد معناها، و يعرفه المتوكّل بقوله: " مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلية معيّن باعتبار أن عملية التّواصل لا تتمّ بواسطة جمل بل بواسطة نصّ متكامل في غالب الأحوال، و من أهم مظاهر الترابط بين النصّ الواحد ظاهرة العود الإحالي المعروفة التي تربط بين ضمير ما و مركب اسمي سابق"⁵⁵، أمّا السياق المقامي أو سياق الحال أو سياق الموقف، و هو " الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعاً لتغير الموقف أو المقام، و قد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح (الدلالة المقامية)"⁵⁶.
- 5- و اللّغة و المستعمل: تعدّ اللغة الوسيلة الأمثل للإنسان للتعبير عن أفكاره و التواصل مع بني جنسه، فالمتكلم لا يمكنه أن يستغني عن اللغة لتحقيق العملية التواصلية، و ايصال المعاني التي في نفسه إلى المتلقي بشكل يسمح له تفادي الانجرار إلى الأساليب الأخرى.
- 6- القدرة اللغوية: إن هذا المفهوم جاء به نعوم تشومسكي، و الذي يُقصد به أنّ الإنسان يولد و هو مزوّد بقدرة على اكتساب اللغة الأم و التّعبير بها و إنتاج قوالب جديدة حتى و لو يسمعها من قبل، فالمعرفة هنا التي تكون لدى المتكلم - المستمع هي معرفة لغوية، أمّا عند المتوكّل فهناك القدرة التّواصلية، و هي التي " تتحقّق عن طريق اللغة و إمّا عن طريق وسائل غير لغوية، و بالتالي فالقدرة التواصلية تضمّ المعارف اللغوية والمعارف السّياقية، و منه يستحضر المتكلم - السامع أثناء إنتاجه عبارات لغته أو فهمها كل هذه المعارف"⁵⁷، و عليه فالنظرية الوظيفية تجاوزت القدرة اللغوية إلى القدرة التواصلية التي تعتمد على اللغة و غيرها من وسائل التواصل.
- 7- الأدوات و بنية اللغة: إنّ هذا المبدأ يربط بين بنية اللغة و كونها أداة للتواصل، و يراه أحمد المتوكّل أنه الأهم في تحديد التّوجّه الوظيفي إذ يقول: " أهمّ مبادئ المنحى الوظيفي على الإطلاق هو ما له صلة بعلاقة أداتية اللغة و بنيتها بعلاقة وظيفة التواصل بالنسق اللغوي"⁵⁸، إذاً بنية اللغة تلعب دوراً كبيراً في إنجاح عملية التواصل، فإذا وقع حذف مثلاً على مستوى البنية قد لا يفهم المخاطب الغرض الذي أراد المتكلم إيصاله له.
- 8- الأدوات و تطوّر اللّغة: بما أنّ بنية اللغة قد تتطوّر، فتتطور بذلك دلالتها تبعاً لذلك، و عملية التواصل لها علاقة مباشرة مع بنية اللغة تزامنياً، فالاستعمال اليومي للغة من طرف متكلميها وفق مواقف تواصلية مختلفة، قد تتأثر دلالة بعض مفرداتها وفق تلك المواقف، إذا نقول أن العملية التواصلية تُسهم في تطوّر اللّغة.
- 9- الكليات اللغوية: المعروف أن لكل لغة خصوصياتها التي تميّزها عن غيرها من اللغات، إلّا أن للسان الطبيعي في عمومته خصائص عامة تتقاسمها مختلف اللغات و التي تسمى (الكليات اللغوية)، و هذه الكليات في النظرية الوظيفية

المثلي "تجمع بين مجموعة من البنيات، و ما تؤديه تلك البنيات من أغراض تواصلية، أي أن اللغات في تشابها أو اختلافها تجمعها جملة من الوظائف تسعى إلى تحقيقها"⁵⁹.

10- الأدوات و اكتساب اللّغة: إنّ الطفل عندما يولد يكون مزوداً بقدرة على اكتساب اللّغة، إلا أنّ النّظرية الوظيفية المثلي تتجاوز ذلك حيث تراه يكتسب " قدرة على التّواصل مع محيطه الاجتماعي، لا يتعلم أصوات لغته و قواعد صرفها و تركيبها بل يتعلّم معها ما تؤديه من أغراض تواصلية"⁶⁰.

7. خاتمة:

بعد أن قمنا بهذه الورقة البحثية التي كانت بؤرة البحث فيها هو نظرية التّواصل اللّغوي في الدّرس اللّغوي العربي، والتي حاولنا فيها استقصاء هذه الظاهرة اللّغوية في الدّراسات اللّغوية العربية القديمة، و كذا استظهار جهود اللّغويين العرب المحدثين في بناء معرفة جديدة تدرس التّواصل اللّغوي وفق المنجز اللّساني الغربي، ومن التّائج المتحصّل عليها ما يلي:

- إن الفهم و الإفهام هو الحجر الأساس في العملية التّواصلية، و البحث في الآليات التي تمكّن من إيصال الرّسالة من المتكلم إلى المتلقي باستعمال اللغة كأداة أساسية هو مقاربة تسمح بفتح آفاق جديدة لترقية التّواصل بين أفراد المجتمع.

- لقد أحدث رومان جاكسون ثورة لسانية حينما أسس لنظرية التّواصل الأمر الذي جعل اللّسانيين الذين اتوا بعده بفتح آفاق جيدة لدراسة اللغة.

- كان للّغويين العرب القدامى لمستهم الخاصة في تعرضهم للتّواصل اللّغوي على غرار ما نجده عند سيبويه عندما تحدث عن استقامة الكلام، و كذا الجاحظ في حديثه عن معنى البيان، كما نجد ذلك في الدراسات النحوية والبلاغية.

- سعى احمد المتوكّل إلى تأسيس نظرية شاملة قوائمها تلك المبادئ العشرة التي استقاها من النحو الوظيفي لسيمون ديك، و هدفها الأسمى هو الوصول إلى التّواصل المثالي بين طرفي العملية التّواصلية و ذلك باستعمال التّواصل اللّغوي أو وسائل غير لغوية.

- إنّ الوظيفة التّواصلية هي أهم الوظائف التي تسعى النّظرية الوظيفية المثلي إلى بلوغها و إن كان التّواصل يتحقق عن طريق اللّغة أو غيرها من الوسائل، إلا أن هذا التّواصل لا يرقى إلى قوة و دقة التّواصل الذي يكون باللّغة.

- التّواصل في النّظرية الوظيفية المثلي نوعان: لغوي و غير لغوي، و الغرض الذي تصبو إلى تحقيقه هو التّواصل، فالإنسان بطبيعته اجتماعي، و هو بحاجة إلى التّواصل مع بني جنسه.

لقد أبان الثّراث اللّغوي العربي على أنّه يحوي على أجهزة مفاهيمية يمكن بلورتها وفق المنجز اللّساني الحديث لخلق دراسات لسانية تمتاز بالعلمية و الدّقة و كذا التّجديد المعرفي للأفكار و طرق التّحليل، و هذا يعدّ من أساسيات البحث العلمي الحديث، كما ننوه إلى نقطة مهمة جدّاً أنه لا يمكن البتّة أن نغفل عن القواعد و الأصول التي انبنى عليها الدّرس اللّغوي العربي، لذلك يجب أن تكون الانطلاقة في بناء معرفة جديدة في الدّرس اللّغوي العربي من هاته الأصول، و نحن لا نقول بأنّ خصوصيات اللّغة العربية يمنعها من انطباق مبادئ اللّسانيات العامة و قواعدها عليها و لكن يجب مراعاة الأصول حتى نكون في منأى عن الوقوع في بعض المزالق .

8. الهوامش:

- ¹ هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي من البنية إلى الأفق التداولي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1، إربد، الأردن، ، 2016، ص25.
- ² سيبويه، الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، ج1، 1988، ص25-26.
- ³ بارت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2007، ص 85.
- ⁴ جوهارد هليش، تطوّر علم اللغة منذ 1970، ترجمة و تقديم: سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء الشرق، ط2، القاهرة، ص 238.
- ⁵ موهوب أحمد، الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2005، ص10.
- ⁶ عبد الرحمن بن جاد الله، حاشية البناني على شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، ج1، 2005، ص 77.
- ⁷ المصدر نفسه، ج1، ص 80-82.
- ⁸ أحمد منداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، ط2، إربد، عمان، 2009، ص10.
- ⁹ أبو البقاء الكفوي، الكلّيات، أعدّه للطبع و وضع فهارسه عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 2002، ص419.
- ¹⁰ أحمد منداس، لسانيات النص، مرجع سابق، ص12.
- ¹¹ فارديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف الطلي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص30.
- ¹² الطاهر بومزير، التواصل اللساني و الشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص17.
- ¹³ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص30.
- ¹⁴ عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص137.
- ¹⁵ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، المصدر السابق، ص 28.
- ¹⁶ مانفرد، حدود التواصل، الاجتماع و التنازع بين هابر ماس و ليوتار فرانك، ترجمة و تقديم و تعليق: عز العرب الحكيم بناني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003، ص 38.
- ¹⁷ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، المصدر السابق، ص 27.
- ¹⁸ فارديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 27.
- ¹⁹ الطاهر بومزير، التواصل اللساني و الشعرية، ص28.
- ²⁰ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص27.
- ²¹ عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، ص158.

- ²² يوسف بغداد، إسهامات رومان جاكبسون في تحديد مفهوم الشعرية الحديثة، مجلة الإشعاع، المجلد 8، العدد 1، الجزائر، 2021، ص 94.
- ²³ الطاهر بومزير، التواصل اللساني و الشعرية، ص 39.
- ²⁴ رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص 30.
- ²⁵ عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، ص 159.
- ²⁶ رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص 31.
- ²⁷ بيار غورو، السيمياء، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط 1، 1984، ص 12.
- ²⁸ طلعت منصور، سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، الكويت، المجلد 11، 1980، ص 180.
- ²⁹ ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص 84-85.
- ³⁰ نور الدين الرايص، نظرية التّواصل و اللّسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط 1، 2007، ص 188.
- ³¹ عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، بحث في المنهج، مطبعة الانصار، دط، 1988، ص 114-115.
- ³² ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط 2، 1986، ص 12.
- ³³ كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، دار الثقافة العربية، دط، دت، ص 127.
- ³⁴ سورة الرحمن، الآيات من 1 إلى 4.
- ³⁵ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحساء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1969، ص 33.
- ³⁶ يس بن زين الحمصي الشافعي، حاشية يس على شرح الفاكهي على قطر الندى، مكتبة الإرشاد، تركيا، ج 1، ص 16.
- ³⁷ الصبان محمد بن علي، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2009، ج 1، ص 30.
- ³⁸ رضي الدين الاستربادي، شرح كافية ابن الحاجب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج 1، ص 203.
- ³⁹ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 3، 2009، ص 224.
- ⁴⁰ رضي الدين الاستربادي، شرح كافية ابن الحاجب، ج 3، ص 175.
- ⁴¹ سعد الدين التفتازاني، المطوّل شرح تلخيص المفتاح، صحّحه و علّق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 126.
- ⁴² أبو بكر عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق عليه: محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط 1، 1991، ص 30.
- ⁴³ المرجع نفسه، ص 55.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ص 47.
- ⁴⁵ أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والإمداد، دار الامان، الرباط، ط 1، 2006، ص 64.
- ⁴⁶ أحمد المتوكّل، المنهج الوظيفي في البحث اللّساني، دار الأمان، ط 1، 2016، ص 418.
- ⁴⁷ أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 66.
- ⁴⁸ أحمد المتوكّل، المنهج الوظيفي في البحث اللّساني، ص 421.

- 49 أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 44.
- 50 المرجع نفسه، ص 20.
- 51 المرجع نفسه، ص 21.
- 52 المرجع نفسه، ص 21.
- 53 المرجع نفسه، ص 24.
- 54 مسعود بودوخة، السياق و الدلالة، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2012، ص 50.
- 55 أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 384.
- 56 عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001، ص 90.
- 57 نعمان بوقرة، اللسانيات أنجاساتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009، ص 147.
- 58 أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 388.
- 59 المرجع نفسه، ص 35.
- 60 أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص 395.

9. قائمة المراجع:

- 1- القراءان الكريم.
- 2- أبو بكر عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق عليه: محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط1، 1991.
- 3- أحمد منداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط2، 2009.
- 4- أبو البقاء الكفوي، الكلّيات، أعدّه للطبع و وضع فهارسه عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 2002.
- 5- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والإمداد، دار الامان، الرباط، ط1، 2006.
- 6- أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، ط1، 2016.
- 7- بارث دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007.
- 8- بيار غورو، السيميائية، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1984.
- 9- جوهارد هليش، تطوّر علم اللغة منذ 1970، ترجمة و تقديم: سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، ط1.
- 10- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحساء التراث العربي، بيروت، ط3، 1969.
- 11- هامل شيخ، التواصل اللغوي في الخطاب الإعلامي من البنية إلى الأفق التداولي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2016.

- 12- موهوب أحمد، الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر.
- 13- عبد الرحمن بن جاد الله، حاشية البناني على شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج1، 2005.
- 14- فارديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف الطلي، دار آفاق عربية، بغداد.
- 15- الطاهر بومزبر، التّواصل اللّساني و الشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- 16- رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988.
- 17- عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3.
- 18- مانفرد، حدود التواصل، الاجتماع و التنازع بين هابر ماس و ليوتار فرانك، ترجمة و تقديم و تعليق: عز العرب لحكيم بناني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003.
- 19- يوسف بغداد، إسهامات رومان جاكسون في تحديد مفهوم الشعرية الحديثة، مجلة الإشعاع، المجلد 8، العدد1، الجزائر، 2021.
- 20- طلعت منصور، سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، الكويت، المجلد11، 1980.
- 21- ميشال زكريا، الألسنية(علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- 22- نور الدين الرايص، نظرية التّواصل و اللّسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، ط1، 2007.
- 23- عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، بحث في المنهج، مطبعة الانصار، دط، 1988.
- 24- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط2، 1986.
- 25- كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، دار الثقافة العربية، دط، دت.
- 26- يس بن زين الحمصي الشافعي، حاشية يس على شرح الفاكهي على قطر الندى، مكتبة الإرشاد، تركيا، ج1.
- 27- الصبان محمد بن علي، حاشية الصّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2009، ج1.
- 28- رضي الدين الاستربادي، شرح كافية ابن الحاجب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج1.
- 29- رضي الدين الاستربادي، شرح كافية ابن الحاجب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج3.
- 30- سيويو، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج3، 2009.

- 31- سيّويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 2009.
- 32- سعد الدين التفتازاني، المطوّل شرح تلخيص المفتاح، صحّحه و علّق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 33- مسعود بودوخة، السياق و الدلالة، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2012.
- 34- عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، اتّحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001.
- 35- نعمان بوقرة، اللسانيات اتّجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009.